

ما وراء القبر

حديث مع اديسن عن الحياة والموت

قابل كاتب أميركي المبتدأ اديسن العالم الأميركي المشهور واستطلعه رأيه في نبأ نشرته الصحف الأميركية وخواه أنه يبحث ويفتش لعله يفوز برفع الحجاب عن حقيقة ما تصير اليه نفس الانسان بعد الموت ويؤيد ذلك بالدليل العلمي. وقد نشرته خلاصة هذا الحديث في مجلة السينتك أميركان المروفة بتدقيقها العلمي وقدمته بمقدمة من عندها قالت فيها :

« اذا كان رجل في مقام لودج او اديسن بهم بموضوع ما فان الجمهور يتألق في الاهتمام بما يقول وبما يرجو ان يفعل. وعليه فلما أذيع منذ ايام ان اديسن يجرب تجارب لمناجاة الموتى فسحت الصحف مجالا واسعا لهذا النبأ يفوق ما يستحقه بالنسبة الى الدرجة العليا التي بلغتها أعمال اديسن من التقدم العلمي. وقد أصابت فيما فعلت لان القراء اهتموا مزيد الاهتمام بمجرد علمهم ان اديسن يشغل بهذه المسئلة ». الى ان قالت « وأهم ما في الامر ان اديسن رغم الارخيف التي قد تذيبها الصحف عن هذه المسئلة وعلاقته بها يسمى ليمود بنا الى الموقف الصحيح في أمر الحياة بعد الموت وبقاء النفس وامكان مخاطبة الموتى ». وهذه صورة الحديث . قال الكاتب :

« ان اديسن الذي استنبط المصباح الكهربائي والفونوغراف والصور المتحركة وبطرية النكل والحديد والدينامو الكامل وغيرها من المكتشفات والمخترعات التي تدخل أعمالنا اليومية سيوجه سميح وجهه الى أمر يفوق كل اكتشاف واختراع بما لا يقاس . فان في العالم نحو ١٥٠٠ مليون نسمة سيدركهم الموت عاجلا او آجلا ولكنهم يجهلون كل الجهل مصيرهم بعده . ومثل ذلك يقال عن مجيئنا الى هذه الدنيا . وعليه فالحياة والموت لا يزالان سرا من الاسرار ولغزا من الالغاز التي لم يفتح بها على مخلوق منذ بضعة أسابيع شاع ان هذا المخترع العظيم يمد طريقة او آلة لمخاطبة

(١) نشرت في بعض الصحف المصرية والسورية واعتمدت ترجمة المتكلم

منها مع تصحيح لغوي قليل

الذين انتقلوا من هذا الوجود الى وجود آخر او عالم آخر . فنشرت صحف اميركا واوروبا ان توماس اديسن اندمج في صفوف الروحانيين الذين بينهم الآن كثيرون من كبار العلماء والمؤلفين والمخترعين والطبيين والمهندسين ورجال الدين وغيرهم . ووصف الكتاب الفرنسيون الواسعوا الخيال آلة اديسن بانها محطة تلفونية او مكتب تلفراف او ما أشبه يقصدها الناس ليخاطبوا منها ارواح احبائهم واصدقائهم في العالم الآخر بطريقة عاجلة أكيدة

وليس في الناس احد اشد اسفا من المستر اديسن على اذاعة اخبار مثل هذه . فقد قال لي في حديثي معه « اني لا أستطيع تصور شيء يسمى الروح . تصور شيئا لا ثقل له ولا صورة مادية ولا حجما . وبعبارة أخرى تصور غير شيء . انا لا أستطيع ان اعتقد ان الارواح يمكن ان ترى في أحوال معينة وتحرك الموائد او تفرع عليها او تعمل أعمالا سخرية مثل هذه وكل ما قيل من هذا القبيل حديث خرافة »

واقول هنا انه انما قابلي لازالة ما علق بالاذهان من الاشاعات التي شاعت عن تعرضه من البحث والتنقيب في هذا الموضوع . ولا تزال الآلة التي شاع أنه يصنعها في دور التجربة والامتحان . وقد طلب مني ان أعلن ما يأتي قال : « فكرت منذ مدة في اختراع آلة او اداة يمكن ان يستخدمها او يؤثر فيها الذين غادروا هذا الوجود الى وجود آخر او عالم آخر . والآن أسمع وع ما اقول لك . انا لا ادعي ان شخصياتنا تنتقل الى وجود آخر او منطقة أخرى . ولا ادعي علم شيء في هذا الموضوع لاني لا اعلم شيئا فيه ولا احد من الناس يعلم . ولكنني ادعي انه يمكن صنع آلة بالفة من الدقة مبلغا بحيث انه اذا كان اناس في عالم آخر يريدون مخاطبتنا في هذا العالم فان هذه الآلة تكون اوفى بهذا الغرض من تحريك الموائد والنقر عليها او غير ذلك من الوسائل السخرية المروفة والحق يقال ان سخافة هذه الوسائل هي التي تحملي على الشك في صحة مناجاة الموتى التي يدعونها . فلست أدري لم يضيع الاشخاص الذين في العالم الآخر وقتهم في تحريك مثلث من الخشب على مائدة عليها حروف الهجاء ، وما غرضهم من تحريك الموائد هذا كله يظهر لي أنه من الاعمال الصبائية حتى لا أستطيع ان ابحت فيه بعين الجد والاهتمام . وعندي انه اذا شئنا ان نتقدم تقدما حقيقيا في البحث العقلي وجب ان نخلص عليه بالآلات العلية وبالطرق ،

العملية كما نفعل في الطب والكهربائية والكيمياء وغيرها
واما ما اريد ان احملة فهو ان اجهز الباحثين في المباحث العقلية النفسية
بآلة تلبس عملهم لباساً علمياً . وهذه الآلة ستكون مثل مصراع او تشبه
مفتاحاً صغيراً يستطيع به رجل واحد ضعيف القوة ان يفتح مصراعاً تدار
به آلة قوتها ٥٥ الف حصان . وستكون آتي على هذا المثال حتى ان اصغر
قوة تكبر بها كثيراً فتساعدنا على بحثنا . ولا اقول اكثر من ذلك عن ماهيتها .
وقد مضت علي مدة وانا اشتغل بتفاصيلها وكان يماونني في عملي هذا صديق
فتوفى منذ حين . ولما كان يعلم ما انا ساع اليه فالواجب ان يكون اول من
يقدم على استعمال هذه الآلة ان استطاع ذلك

واعلم اني لا ادعي اني اعلم شيئاً عن بقاء الشخصيات بعد الموت ولا اعد
بمخاطبة الذين انتقلوا من هذا الوجود وانما اقول اني ساع في تجهيز الباحثين
النفسيين بآلة قد تساعدهم في عملهم كما يساعد الكرسي سكوب رجال الطب في
مباحثهم . واذا عجزت هذه الآلة عن ان تكشف لنا شيئاً خارق المادة فاني
افقد كل ثقة وايمان ببقاء الشخصيات بعد الموت كما نعرفه في هذا الوجود «
ومما يقال عن المستر اديسن انه لا يصدق المذاهب المعروفة في الحياة
والموت لانه يعتقد انها فاسدة الاساس ، قال لي باسلاً مذهبه فيها » عندي
ان الحياة كالمادة غير قابلة للفناء . فقد كان في هذا العالم مقدار معين من
الحياة على الدوام وسيبقى هذا المقدار كما هو على الدوام . فانك لا تستطيع
خلق الحياة ولا ابادتها ولا مضاعفتها . وفي اعتقادي ان اجسامنا مركبة من
ملايين من الكائنات المتناهية في صفرها وكل منها حي مفرد ويرتبط بعضها
ببعض لتكوين الانسان . ونحن نقول عن انفسنا ان كلا منا شخص واحد
قائم بنفسه وتكلم عن الهرة او الفيل او الحصان او السمكة كأن كلا منها فرد
قائم برأسه ولكنني أرى ان طريقة التفكير هذه فاسدة الاساس فان هذه
الاشياء كلها تظهر انها بسيطة مفردة لان الكائنات الحية التي تتألف منها أصغر
من ان ترى حتى باعظم المكبرات

وقد يترض على هذا الرأي بانه اذا كانت هذه الكائنات صغيرة الى هذا
الحد فلا يمكن ان تكون مؤلفة من أعضاء مختلفة تستطيع القيام بالاعمال التي
سأذكرها . فاقول في الرد على ذلك انه لا احد لصغر الاشياء كما انه لا احد لكبرها

واكتشاف الألكترون خير جواب على مثل هذا الاعتراض. فقد ظهر لي بالحساب انه يمكن وجود حي متقن التركيب والتنظيم مؤلف من ملايين من الالكترونات الصغيرة التي لا ترى بما نعرف من المكبرات . وهناك دلائل كثيرة تدل على اننا نحن الخلائق البشرية نتصرف كل منا تصرف جماعة من الاحياء لا تصرف حي واحد . وهذا ما يحملني على اعتقاد ان كلا منا يحتوي على ملايين من الاحياء وان اجسامنا وعقولنا تمثل افعال الكائنات التي تتألف منها .

ولنتظر الآن في السبب الذي يحملني على القول بأنه لا بد ان تكون اجسامنا مؤلفة من هذه الكائنات . خذ بصمة ابهامك كما يفعل البوليس في بصم ابهام المشبوهين ثم ازل خطوط ابهامك بحرقها بالنار . فتى نما الجلد ثانية تجد ان خطوطه لم تتغير البتة عما كانت قبل احتراقه وقد امتحنت ذلك بنفسي حتى تحققت . هذا سر من الاسرار ما فتى مطلقاً حتى الآن . تقول لي ان هذا عمل الطبيعة . وهو جواب يراد به التفصي لا غير اذ لا معنى له بل هو وسيلة لاسكات السائل بذكر كلمة فارغة مكان الجواب . ان كلمة « طبيعة » ما اقمعتني قط : اما جوابي انا فهو ان الجلد لم يثبت ثانية كما كان أولاً بمجرد الاتفاق بل ان هناك من وضع رسوم التوالثاني وعني بمطابقته لرسوم التوالثاول من كل وجه . وافت لا تعلم شيئاً من تلك الرسوم فان دماغك لم يشترك في هذا العمل : وهنا تدخل الكائنات المشار اليها وتشترك في العمل . وانا اعتقد جد الاعتقاد انها تحوكم نسيج جلد الابهام بمزيد العناية مستمينة على رسم التفاصيل الدقيقة بتدائها المعجبة

ولزيادة الايضاح اقول . لنفرض ان كائناً من سكان المريخ هبط الى هذه الارض ولنفرض ان بصره ليس دقيقاً كبصرنا وان اصفر شيء يمكنه ان يراه بصفيه هو جسر (كبري) مثل جسر بروكلن فهو اذاً لا يرى اجسامنا وقد يحسب الجسر المذكور شيئاً طبيعياً كما نحسب نحن العشب او الرمل او المعادن وغيرها من الاشياء الطبيعية ، ولنفرض انه هدم جسر بروكلن وذهب ثم عاد بعد سنين فر من هناك فوجد جسراً جديداً مكان القديم وعلى مثاله . فهل يقوده الفكر الصحيح الى افتراض ان الجسر الجديد تما بضمه مكان القديم وعلى مثاله او الى افتراض انه مد ثانية بفعل فاعل عاقل . لا ريب ان الترض الثاني

أقرب الى العقل

هذا هو الموقف الذي يجب ان نقفه نحن بازاء الكائنات الحوية. والمسئلة كلها مجرد افتراض وتخمين كما لا يخفى. فقد يكون ٩٥ في المئة من تلك الكائنات التي تتألف أجسامنا منها عمالا والجملة الباقية مديرة للمعمل وقد يكون غير ذلك. ومهما يكن من الامر فان مجموعها هو الذي يكون شكل أجسامنا الطبيعي وصفاتنا العقلية وشخصياتنا وما اشبه ذلك

وهذه الكائنات هي الحياة بعينها وهي لا تنفأ تعمل وترمم انسجة اجسامها وتشرف على وظائف اعضائها. فاذا أصيب الجسم بطاريء افضى الى موته كأن يكون مرضاً عضالاً او عارضاً او هراماً فان هذه الكائنات تغارقه ولا تتركه وراءها الا بناء خاويآ خالياً. ولما كانت عمالا لا تسكل ولا تعمل فاما ان تدخل جسم انسان آخر او تبدأ العمل في صورة اخرى من صور الحياة واشكالها. وسواء كان هذا او ذاك فان هذه الكائنات محدودة المدد وهي نفسها عملت كل شيء في عالمنا هذا ولكن تعدد التراكيب التي تتألف منها هو الذي اوقفنا في الخطأ فحسبنا ان لكل مولود حياة جديدة

وهذه الكائنات خالدة لانثوت فانك لا تستطيع افناءها كما لا تستطيع افناء المادة وجهدها هناك انك تستطيع تغيير صورة المادة لا غير. فقد كان مقدار الذهب والحديد والكبريت والا كسجين وغيرها في بدء العالم كما هو الآن بلا زيادة ولا نقصان. نعم اننا نستطيع التغيير في تركيب مركبات هذه العناصر ولكننا لم نفكر بتغيير نسب بعضها الى بعض

وهذا هو حال الكائنات الحوية فاننا لا نستطيع افناءها بل نغير صورها واشكالها. وقدرتها ممتدة الضروب حتى يصعب علينا تمييز أعمالها في كل الاحوال. وعليه لم يستطع العلماء حتى الآن ان يرسموا حدا بين الاشياء الحية وغير الحية. وقد يكون ان هذه الكائنات تمتد الى الجماد وتعمل فيه والا فما الشيء الذي يجعل البلورات تتكون على أشكال هندسية محدودة؟

والآن نأتي الى مسئلة الشخصية. أنت ليكر بورا (اسم الكاتب) وأنا ديمس لان في كل منا مجموعاً من كائنات يختلف عن مجموع الآخر. فقد أثبت الطب باثنتين ونماين عملية جراحية شهيرة عملت حتى الآن ان مركز شخصيتنا هو في تلفيف من تلافيف الدماغ اسمه تليف « بروكا ». ومن العقل والصواب

ان نفرض ان مركز الكائنات التي تدبر حركاتنا وتشرف عليها انما هو في ذلك التلخيص . فهو الذي يشرنا بالتأثيرات العقلية وبشخصياتنا . ولقد قلت ان مانسميه الموت انما هو مفارقة تلك الكائنات لابدانتها . والمسئلة كلها في زعمي هي مسئلة مايجري للكائنات المرشدة التي مقرها في تلخيص « بروكا » . اذ المقول ان الكائنات الاخرى التي تعمل عملا ميكانيكيا في اجسامنا تنشت وتذهب في جهات مختلفة طلبا للعمل فيها . واما الكائنات التي تتكون منها شخصياتنا فتكون انت بها لسكربورا وأكون انا اديسن ويكون زيد زيدا فإذا يجري بها ؟ هل تبقى مجموعة واحدة أو تتفرق في الكون طالبة العمل منفردة لا بمجموعة ؟ فان كانت تتفرق فان شخصياتنا لا تبقى بعد الموت . فقد تقدم القول أن هذه الكائنات تعيش الى الابد وتمنحنا الخلود الذي يرجوه كثير منا ولكن ان كانت تتفرق ثم تتحد بكائنات أخرى لتولف أجساما جديدة منها فان ذلك يضع علينا شخصياتنا والخلود الذي نرجوه أي خلود تلك الشخصيات بعينها .

ولي الرجاء أن شخصياتنا تبقى . فان كانت تبقى فان الآلة التي أنا ساع في اختراعها لا بد أن تفيدنا . وهذا ما يحدوني على الانهماك بعملها واخراجها على غاية من الدقة . واني انتظر النتيجة بنهاب الصبر .

(المنار) يؤخذ من حديث هذا المخترع الشهير أنه يمتقد بنظرة العقلي واختباره العلمي جواز مايجزم به جميع الملمين ايمانا بالغيب وكثير من الفلاسفة والمعلماء الروحانيين بالدلائل أو الاختبار الذي يعرف باستحضار الارواح ، ويرجو أن يكون ما يجوزه ويقول بإمكانه من الحياة بعد الموت والبقاء بعد فنا هذه الهياكل الجسدية حقا واقما وان كان يرتاب فيه بما شرحه من نظريته الخيالية في سر الحياة وسببها ، وبناء على هذا الرجاء يحاول وضع الآلة الكهربائية التي يرى أنها تكون خير وسيلة وأقوى سبب لتأثير أرواح الموتي في الاحياء بمخاطبتها لهم بها ان كان ذلك مما تتوجه اليه وتمنى به كما يدعى أهل المذهب الروحاني الذي عرفه الاقربح في هذا العصر وكان معروفا عند الصوفية في القرون الماضية والمصور الخالية . فتأمل كيف قربت المادية عالم الغيب من عالم الشهادة . ان في ذلك للمتفكرين ، وقد أقرب مجبه بحقيقة الروح ولا غرو (من الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا)